النتاج الجديد

١ — حركة الفتح الاسلامي في القرن الاول

٢ — المجتمعات الاسلامية في القرن الاول

للدكتور شكري فيصل

دار الكتاب العربي القاهرة ١٩٥٢

نعمت بقراءة هذا الكتاب ساعات طويلة، فهو عمل رجل اديب، اراد له عقله ان يكون مؤرخاً، فابى له قلبه الا ان يكون اديباً. وفي غلبة القلب على العقل تحرر للمؤلف من قيود البحث العلمي، واستهواء للقارىء؛ خاصة عندما يقدم لك الدكتور شكري فيصل، بقلمه السيال، واسلوبه العذب، كتاباً لست اشك في انه استنفد من وقته الكثير. اقول كتاباً بدل كتابين، لان الاصل في هذين اللذين نشرا منفردين، انهما كانا مجتمعين. فقد اراد الدكتور فيصل ان يعالج المجتمعات الاسلامية، ورأى ان يمهد لذلك بحركة الفتح. ثم بدا له ان تقديم بحث بمثل هذه الضخامة قد يكون كثيراً، فنزع هذه المقدمة من صلب الجسم الاصلي، وجعلها كتاباً مستقلاً (١٩٦ صفحة) وظل له مع ذلك ما يقرب من ٥٠٠ صفحة للكتاب الثاني. واذا اردت ايها القارىء الكريم ان تضع «حركة الفتح» في موضعها الاصلي، فاقرأها بعد ص ٥٦ من «المجتمعات الاسلامية».

اسلست اللغة قيادها للدكتور فيصل فسار في كتابه يرسم الصورة بعد الصورة رسم فنان. وبروح الفنان، اراد لبنائه ان يكون تام الاتساق في جميع اجزائه، ولكن اتساع البناء، وتعدد الابهاء، وتنوع الطُّرُز، حال دونه ودون ما رغب فيه وقصد اليه. لذلك جاء حديثه عن بعض اجزاء هذا البناء الضخم تنقصه الدقة التي تمتعت بها اجزاء اخرى. ولك ان تقارن بين فصوله عن العراق والشام من ناحية، وبين فصوله عن المغرب من ناحية اخرى، لترى ان اتساع الرقعة حال دون تتبع الكثير من الامور. ذلك ان الدكتور فيصل لم يراع حقيقة يعرفها الكثر ممن عالج تاريخ المغرب، وهو ان هذه الاصقاع لم «تتعرب» ولم «تسلم» في القرن الاول للهجرة. بل لعلها لم تكن موضع عناية خاصة من اولي الامر، باستثناء عمر بن عبد العزيز، الا بعد حركة الفتوح الاولى بمدة طويلة.. ولم يتم التعريب او التعرّب الا بعد القرن الحادي عشر للميلاد، ولم ينتشر الاسلام في المغرب الا بعد ان قام المرابطون والموحدون بذلك. ولعل السبب يرجع الى ما كان ثمة من تفور البربر من هؤلاء العرب الفاتحين، حتى قامت دول افريقية اصيلة، فصار دينها ولغتها — اي الاسلام والعربية — في حكم العمل المحلي الوطني، فقبلها الناس، او حملوا على قبولها. واحسب ان الدكتور فيصل اراد ان يثبت خطل هذا الرأي، وفساد هذه النظرية. فان صدق حدسي، فانني ابادر الى القول بانه لم يوفق في هذه الناحية. ولأرجع القارىء الى ص ١٧٤، ١٧٥، ١٨٠، ١٨٤ من كتابه؛ والى ابن عذارى ص ٤٨، والى كتاب توماس ارنولد The Preaching of Islam ص ٣١٤ وما يليها.

ويخيل اليّ ان طبيعة العمل الكبير المتسع تفرض على القائم به ان ينحي الكثير من الكتب من طريقه، وبذلك يفوته بعض الشيء، ان لم يكن للافادة، فلا اقل من الاطلاع والمناقشة. ومن هذه الكتب التي نحاها الوقت كتاب ارنولد المذكور آنفاً، كتاب A.Bel المسمى La Religion Musulmane en Berberie، فضلاً عن كتب اخرى اكثرها فرنسية، تناولت بقاع المغرب بالدرس الذي لم يخل من الغرض الا فيما ندر.

ولست ادري الى اي حد يمكن ان يوافق الباحث الدكتور فيصل في الرأي الذي خلص اليه في ص ٦٦، اذ جعل عمل العرب في ديار الفتوح وفي عمل الفتح «سياسة» مرسومة، كأنها وضعت مسبقاً بتفاصيلها. واود ان يمر القاريء مراً هادئاً بالصفحات التالية ليرى ما فيها من مبالغات وتعميمات كنا نود لو ان المؤلف هذب حواشيها تهذيب نقد وبحث قبل وضعها في صيغتها النهائية. اما الصفحات فهي ٣١-٣٢، ٣٥، ٤٦، ٤٨، ٩٦، ١٨٥، ٢٤٢، ٢٨١، ٣٠٥.

وكم كنا نحب لو ان المؤلف لم يهتم كثيراً بالقرابة بين السامية والحامية (ص ٢٣٠-٢٣١). فهذه نظرية قديمة، وليس لها ما يبرر قبولها او حتى الاهتمام بها في مثل البحث الذي بين يدي الدكتور فيصل. ومع ان حديثه عن اليونانية واللاتينية في سورية لم يكن عميقاً، فان اشارته الى هاتين اللغتين وانتشارهما حرية بان يعاد النظر فيها (ص ٦٩).

ونحن نعرف سر هذا الذي وقع فيه الدكتور فيصل، وهو امر كان يمكن ان يقع فيه اي شخص تناول مثل هذه الرقعة الواسعة المتباينة في طبيعتها ، وتاريخها وحضاراتها وثقافاتها السابقة للفتوح الاسلامية . ونحسب لو ان المؤلف تناول واحداً من هذه المجتمعات وعني بسبر غوره من جميع نواحيه ، لكان اجاد اجادة لا يمكن انكارها عليه ، فهو — كما قلنا من قبل ، وكما يعرفه القراء — فنان بارع ؛ لكن الفنان البارع قد يخطىء البناء اذا تكاثرت لديه مواد البناء ، وتنافرت انواعها واشكالها.

نقولا زيادة

واقع العالم العربي

تأليف الدكتور جورج حنا

دار العلم للملايين — بيروت — ١٥٢ ص

الدكتور جورج حنا مفكر يحسُّ الواقع احساساً عميقاً ، ويعبر عن احساسه هذا العميق باسلوب الكاتب الفنان ، وعقل العالم المدقق . وقد اخرج قلمه الخصب كتباً قيمة عديدة في مدة قصيرة من الزمن ، آخرها هذا الكتاب القيم بموضوعه واسلوبه وغايته. والكتاب متشعب النواحي، متعدد الجوانب. تقرأ فيه سياسة واقتصاداً واجتماعاً ونقداً للحياة العربية المعاصرة. وقد اقتضت طبيعة الموضوع هذا التشعب، لأن الدكتور حنا من المفكرين الذين يعتبرون الحياة ، بمظاهرها المتعددة المختلفة ، وحدة تامة لا يمكن فهم جانب منها فهماً صحيحاً ، ومعالجته معالجة ناجعة ، الا اذا فهمت جوانبها جميعاً فهماً موضوعياً عميقاً .

بدأ الدكتور حنا كتابه بتحديد مقومات «المتحَد» العربي. وبيّن ان العالم العربي متحد كائن لا سبيل الى انكاره . وان العوامل التي تعمل على تفكيك عرى هذا المتحد انما هي عوامل طارئة لن تقوى على القضاء على عناصره الاساسية واهمها اللغة الواحدة ، والتاريخ الواحد ، والمصلحة الواحدة ، والمصير الواحد . و «المتحَد» كلمة استعملها انطون سعادة ترجمة لما يعبر عنه بالانكليزية بـ « Community » [نشوء الامم ، ط٢ ، ص ١٤١ ، ح ١] التي تعني جماعة او مجتمعاً . والذي فهمته من قراءة هذا الفصل ان الدكتور يعني بالمتحد « امّة » . واعتقد ان كلمة أمة هي ادق في التعبير عن غرضه ، واوضح في الدلالة على ما يريد . الا اذا كان يشك في وجود امة عربية واحدة ، فاختار هذا اللفظ ، الغامض ، الجديد غير المحدد تغطية لشكه . وما ارى الدكتور يقصد الى هذا . فعناصر المتحد العربي الاساسية التي ذكرها هي نفسها من اهم العناصر التي تتألف منها مقومات الامة . واذا كانت بعض هذه العناصر ما تزال ضعيفة في العالم العربي ، واذا كانت عوامل تفكيك هذه العناصر ما تزال نشيطة ، فان التطور الذي تسير في دربه الشعوب العربية كفيل بالقضاء على هذه العوامل الطارئة ، وتقوية الاجزاء الضعيفة من العناصر المكونة لمقومات الامة العربية . والعامل المهم الذي ساعد ، وما زال يساعد ، على بقاء وحدة المجتمع العربي وترابطه ، رغم عوامل التباعد والتفريق ، هو الاسلام ، وهذا ما اهمل الدكتور ذكره . فالاسلام من اعظم العوامل التي كونت هذه العقلية المشتركة في المجتمع العربي، وحافظت على وحدة كيانه سليمة، الى حد ما، رغم ما اصابه من محن داخلية وخارجية ، احدثها محنة الاستعمار الغربي بمختلف اشكاله . ان الدين ليس عاملاً من عوامل القومية . ووجود الامة لا يقوم على الدين ، ولا يعتمد عليه . ولكن الاسلام اكثرُ من علاقة الانسان بربه . اكثر من ايمان بالغيبيات . فهو دين ، وتنظيم اجتماعي واقتصادي . هو نظام حياة كامل .

لا يشترط في الافراد الذين تتكون منهم الامة ان ينحدروا من جنس واحد . فقد اختلطت الاجناس البشرية على مدى الدهور حتى ليصعب على الانسان ان يجد عنصراً بشرياً نقياً حتى في الاقوام التي تسكن في الاماكن البعيدة عن طرق الحضارة. يقول الدكتور حنا : ان الشعوب القاطنة هذا المتحد ترجع في سلالتها الى اصل واحد هو الاصل السامي (ص١٤) وهذا غير صحيح . فالعرب الذين يسكنون العالم العربي اليوم قد تكونوا ، بصورة عامة، من اختلاط شعوب واجناس عديدة بالشعب العربي السامي على مدى عصور عديدة واهمها الشعوب السامية في اقطار الهلال الخصيب ، والحاميون في مصر ، والحاميون والزنوج في السودان ، والبربر في شمال افريقية ، وشعوب اخرى اهمها الاكراد والاتراك والفرس وسواهم. ولو رجع الدكتور الى ما يحكيه الريحاني في « ملوك العرب » عن عرُب تهامة اليمن لعلم الى اي مدى اختلط الدم العربي بالدم الزنجي هناك . ثم ان الناس الذين يسكنون العالم العربي ليسوا

كلهم عرباً او متعربين . فهنالك قوميات مختلفة تعيش في العالم العربي منذ القديم ، اهمها البربر في شمال افريقيـــة وخاصة في مراكش حيث يكوّنون اكثر من نصف السكان ، والاكراد وخاصة في العراق حيث يكوّنون حوالي خمس السكان .

إن هذه الملاحظات الصغيرة التي ذكرتها عن هـذا الفصل ، الذي لم يتعمق الدكتور في بحثه ، لا تمسّ جوهر الكتاب . فالكتاب يعالج واقع العالم العربي ومستقبله ، معالجة دقيقة ، شاملة ، رصينة . بيّن الدكتور ، في الواقع الاقتصادي ، امكانيات العـالم العربي الاقتصادية ، وان هـذه الأمكانيات عظيمة . ولكنّ العالم العربي يبدو فقيراً ، ويوهم بانه فقير ، لان المتسلطين الاجانب واعوانهم من المستغلين في الداخـــل يستحوذون عـــلى هذه الثروة الطبيعية ، ويجهّلون الشعب ، ويبعدونه عن تنظيمها والاستفادة منها استفادة علمية مثمرة . ويصف التباعد الاقتصادي بين الاقطار العربية ، ويبين تأثيره على مصلحة العرب ، وعلى وحدة المجتمع العربي . ويبيّن ، في الواقع الاجتماعي ، ان المجتمع العربي مجتمع طبقات . مجتمع تستغل فيه قلة من الناس جمهور الشعب العامل . مجتمع تهدر فيه كرامة الفكر ، ويضيّق عليه ، ويسخر لمصلحة هـذه القلة واسيادها من المستعمرين ، بدل ان يكون حراً ليخدم مصلحة الشعب وينير له طريق الحياة . مجتمع تهدر فيه كرامة المرأة كانسان ، وتضيع فيه حقوق الطفل . ويستنتج الدكتور من هذا البحث نتيجة عميقة صائبة بأنّ هذا الواقع العربي هو السبب المهم في تجزئة العالم العربي وطمع الدخـــلاء فيه ، وهو العائق الأهم لتقدمه ووحدته وبلوغ امانيه ، وان كل جهد في سبيل الوحدة العربية السياسية ، قبل التخلص من هذا الواقع الاجتماعي المؤلم ، انما هو جهد ضائع . فالوحدة السياسية اذا لم تبن عـلى مجتمع متحد العقلية ، والارادة والمصلحـة ، وحدة مصطنعة ، عرضة للتفكك والانهيار في كل آن . ثم يبـين الدكتور ، في الواقع السياسي ، ان هذا الواقع هو واقع استعمار ، ورجعية ، وفقدان لكل مقومات الحـكم الديمقراطي الشعبي . واقـــع حكومات لا واقع شعوب . وهذا هو سبب ما بين اقطار هذا العالم العربي من تباعد ، وما بين حكوماتها من مشاكسات ، وخصومات ، واهمال للمصالح العربية الحيوية .

وينظر الدكتور حنا إلى مستقبل العرب نظرة المتفائل ، الواثق من قوة الشعب على تحقيق مستقبل زاهر تنعم فيه جماهير الشعب بالحكم الشعبي الصحيح ، وما يتيحه هذا الحكم من كرامة للفرد والمجموع ، ومن خير اقتصادي واجتماعي وفكري عميم . وهو يبني تفاؤله هذا على هذه اليقظة التي اخذت سبيلها الى وعي جماهير الشعب . هذه اليقظة التي تتمثل في تغير موقف الشعب من الاستعمار الاقتصادي والسياسي : من السلبية المستسلمة المخدرة الى المقاومة الايجابية الفعّالة ، وفي وعي الطبقات الشعبية المتزايد لحقوقها ، وفي تكاثر عدد المثقفين المستنيرين ، وفي ازدياد قوة الحركات النسائية ، وفي تعاظم حركات السلام رغم ما تعانيه من كبت ، وفي هـذه الانتفاضات الشعبية ضدّ المستعمرين والحكام المستبدين والاوضاع الرجعية . ولكنّ هنالك خطراً عظيماً على هذا المستقبل يأتي من قبـل الاستعمار الذي يسعى جاهداً إلى تمكين نفوذه في هذا الجزء من العالم ، للاستفادة من موارده الاقتصادية ، وفي مقدمتها النفط ، ومن قواه البشرية ، وموقعه الستراتيجي . وقد نشط المستعمرون في بث الذعر من الحرب لجر الشعوب العربية إلى مشاريعهم الحربية وفي مقدمتها مشروع الدفاع المشترك . وقـــد بين الدكتور حنا — بمنطق سليم ، وتفصيل تدعمه الحقائق — ان لا مصلحـة للشعوب العربية في الاشتراك بهذه المشاريع الحربية ، ولا مصلحة لها في قيام حرب عالمية تكون هي اول المصطلين بنارها . وهو يرى ان السبيل الوحيد لدفع هذه الاخطار الماحقة هو ان تتفهم الشعوب العربية هذه الاخطار ، وتعي مصلحتها ، وتوحد قواها في نضالها ضدّ اعدائها من المستعمرين الاجانب ، ومن يشد أزرهم ويثبت نفوذهم في الداخل .

محمد توفيق حسين

التربية وفلسفتها

تأليف الدكتور نوري جعفر

اذا كان لا بدّ من كلمة الحق فنحن بين يدي كتاب هو فيما خرج للسوق من كتب من اعمقها مادة ، وانظفها تفكيراً ، واسدها طريقة بحث .

أما المادة فحسبك انها فلسفة ، بل هي فلسفات ؛ والفلسفة بطبيعتها عمل فكري جاهد ، وحركة عقلية شاقة ، فاذا أضفت الى هذا ان مادة الكتاب ليست فلسفة واحدة ، وانما هي ألوان من الفلسفة تتطلب ألواناً من القدرة على الاستيعاب ، انت حين

تضيف هذا الى ذاك تتبين بوضوح قيمة هذا الكتاب الجيد . وما أظنك تفترض شقة واسعة بين فكر يبدع فلسفة ، وآخر يهضم فلسفة ، فليس أشبه بفضيلة الخلق في عالم الفكر من فضيلة التمثل ، بل نستطيع ان نقول : ان عملية الابداع الفلسفي تفقد كل امتيازها اذا لم تقترن بعملية التمثل هذه ، او إذا لم تكن عملية التمثل تتمة طبيعية لها . وفي المادة ، إذا لم يجد الطعام معدة تقوى على امتصاصه بطلت جميع خصائصه الغذائية . من هذا كله نخلص الى ان عمليتي الابداع وتمثل الابداع أمران متلازمان ، وانه بقدر ما تكون قيمة الابداع الحق ، تكون قيمة التمثل الحق . وما ينبغي ان تكون الاصالة هنا فارقاً يفصل فصلاً بعيداً بين المبدع والمتمثل ، فربما كان الوقوع الأول على الحقيقة الفلسفية لا يعود الى ذهن غني فحسب ، وانما يعود اليه والى شيء آخر هو الذي يمهد لفكر غني دون فكر غني آخر أن يتفلسف .

ومهما يكن من أمر فان التمثل لا يمكن ان يكون عملية فكرية ذات نفع ، او ذات أثر في التثقيف إذا لم ينته الى تبسيطات مركزة لمستويات ذهنية اقل طاقة على التفكير المجرد. وهو ينتهي الى ذلك اذا توافرت فيه عناصر ثلاثة : وضوح الفكرة في الذهن ، وسلامة الأداة التي تفصح عن هذه الفكرة ، وسداد الطريقة في البحث . فاذا التوت الفكرة في الذهن التوت كذلك في التبسيط ، واذا التوت الأداة في الافصاح التوت معها الفكرة كذلك . وليس يجدي مع الطريقة الملتوية في البحث ان تكون الفكرة واضحة ، او تكون الأداة سليمة. ومن هنا يزعم ديكارت : ان البحث هو طريقة البحث ، وانه ليس هناك بحث جيد وبحث رديء بل هناك منهج جيد ، ومنهج رديء .

وهنا ايضاً أستطيع ان أزعم ان هذه العناصر التي افترضنا وجودها في كل تمثل فلسفي ذي وزن ، تتوافر في هذا الكتاب الجيد . وإذا انت تجاوزت وضوح التفكير ، وسلامة الأداة ، الى طريقة البحث راعك فيها انها ليست هذه الطريقة التقليدية التي ألفتها في بحوث الفلسفة وانما هي طريقة جديدة ملاكها : ان تبسط لا أن تعقّد ، وان تحلل لكي تركّب على نحوٍ لا غموض فيه ولا التواء . هي طريقة تنبثق من صميم التفكير الأميركي اي انها طريقة عملية واقعية . وفي عقيدتي انه ليس أجدى على مشاكل الفكر من ان تتبنى في بحثها والوصول الى حقائقها هذه الطريقة السديدة . والفلسفة ، وهي اعمق مشاكل الفكر وأدق مسائله ، اجدر بهذه الطريقة وأولى .

إننا لا نستطيع ان نقوم بوظيفتنا من التثقيف اذا اتبعنا في بحثنا لمشاكل الفكر طريقة التعميق في التعميق او هذا التفكير اللاتيني الذي يبلبل الفكر الطري، ويرهقه . فاذا اردنا ان يتصل ابناؤنا بمشاكل الفكر المعاصرة دون ان يبرموا بهذا الاتصال ويملّوه ، وإذا أردنا منهم كذلك ان يكونوا على صلة دائمة بتيارات الفكر المعاصرة ، إذا أردنا منهم هذا وذاك وجب ان يكون تمثلنا نحن لهذه المشاكل والتيارات تمثلا ينتهي الى تبسيطات مركزة تعبد لهم مسالك الطريق الوعرة . ومن هنا ايضاً ينبغي ان ينظر الى هذا الكتاب القيم الذي يقدمه الدكتور نوري جعفر لأساتذة الجيل المقبل من المختصين . ثم اذا كان الكتاب ضرورة ثقافية لهؤلاء فهو ضرورة ثقافية لكل قارىء عربي ايضاً ، ذلك ان المؤلف لم يترك فضلا لمختص على غير مختص في فهم الكتاب واستيعاب مسائله .

عبدالرضا صادق

صدر حديثاً

ولادة استقلال

للاستاذ منير تقي الدين

قصة نضال اللبنانيين في سبيل الاستقلال ، يرويها شاهد عيان عاش في قلب الحوادث في بيروت وبشامون وراشيا ودوّن مذكراته يوماً فيوماً .

- كيف اعتقل الرؤساء والوزراء ...
- كيف تظاهرت سيدات لبنان ...
- كيف خلق العلم اللبناني الجديد تحت وابل من رصاص السنغاليين .
- وثائق زنكوغرافية لم تنشر قبل اليوم .

الناشر : **دار العلم للملايين**

صدر حديثاً

عبقرية البحتري

للاستاذ عبد العزيز سيد الاهل

أوفى دراسة عن شاعر الوصف والطيف والديباجة، في اسلوب يجمع الى دقة العلم روعة البيان .

الثمن ليرة ونصف الناشر : **دار العلم للملايين**